ثُلاثِيَّة الهَوَان

تَسَلَّقِ الْغَيْمَةَ التي فِي الأُفُقِ
هُنَاكَ .. قَرِيباً مِنْ أَحْلاَمِكَ
أَلْقِ الْعَصَا ..
لا تخف فَلِكُلِّ أُمْنِيَةٍ تَضْحِيَةٌ

فإنْ لَمْ تَجِدْ غَيْمَةً !؟
أَشْعِلْ قَبَسَ الكَرَامَة
وامْكُثْ بِلا هَوَانٍ

علي بن محمد أبونصيّة التميمي
ABONASEYUH

١٤٤٠ هـ

ثُلاثِيَّةَ الهَوَانْ

تَسَلَّقِ الْغَيْمَةَ التي فِي الأُفُقِ
هُنَاكَ .. قَرِيباً مِنْ أَحْلاَمِكَ
أَلْقِ الْعَصَا ..
لا تخف فَلِكُلِّ أُمْنِيَةٍ تَضْحِيَةٌ

فإنْ لَمْ تَجِدْ غَيْمَةً !؟
أَشْعِلْ قَبَسَ الكَرَامَة
وامْكُثْ بِلا هَوَانٍ

تأليف

علي بن محمد أبونصيّة التميمي

ABONASEYUH

١٤٤٠ هـ

ⓒ علي بن محمد أبونصية التميمي، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
التميمي ، علي بن محمد أبونصية

ثُلاثِيَّة الهَوَان

الرياض، ١٤٤٠ هـ
٥٢ ص؛ ١٧,٦ x ٢٥ سم
رقم الايداع ١٤٤٠\٤٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

إنْ بدتْ لـكَ فِكـرة فأوقـدْ لهـا حُلـماً، وأقـمْ على سـاحتِها عَزْمـاً، وتطلّـع فـي أمانيـــك ببصيـرة قلبـــك وجـــوارح أعمـــالك، لا ببصـــرِ عينـــكَ وفضـــولِ أقـوالك.

فإن بدا يـأسٌ فاقرأ عليـه تعاويـذ الأمل، وأَخْصِـــبْ قَلبـــكَ لآمـــالكَ بالتّفـاؤل، أولئـــكَ الذيـــن يَعزفُـــونَ أمَانيهـم على الوَتـرِ البَاكي، لا يُحسـنونَ السـيرَ إلى أَحلامِهـم .. يعثـرون فـــي أوّلِ الطريـــق .. ومـــع كـــلّ عثـرةٍ تَسْـقطُ لهـم فِكْرَة ..

يقول الشاعر:

وإِنَّ قَصِيدَةً شَنْعاءَ مِنِّي *** إِذا حَضَرَت كثالثةِ الأَثافيّ

كانت العربُ إذا نزلت في مَناخٍ أقامت القدور على ثلاث أثافي، فإن كانت بإزاءِ جبلٍ جعلت الجبلَ محلَ ثالثةِ الأثافيّ .. فلا تستقرُّ قدورهم إلا على هذا العدد، ومنهُ نظم الشاعرُ خُفافُ بن ندبةَ بيته المشهور. وإنّ سُبل الهوان - وإن تعددت - أجدُها تستقرُّ على ثلاثة أسباب، جعلتُها دونك في هذا الجمع اللّطيف، حتى تكونَ على درايةٍ بما يوبقك فتتّقيه إلى ما فيه شرفُك وسؤددك، وقد عَمدتُ الإشارةَ في هذه الثلاثيّة إلى الأمور العمليّة التي يمكن قياسُها في الظاهر، غير منكر ولا مستهتر بأهمية التفطن لأعمال القلوب والعناية بها. فهيَ رسالةٌ إلى كلِّ طالبِ مجدٍ وعزٍّ وشرف، لا سيما طالبَ العلمِ الذي يصونُ بعلمه منزلتَه دونَ الهوان، ويشرفُ بأدبِه وفنونِه على الأقران، فإنَّ كلَّ مجدٍ إلى دَعَةٍ إلاّ ما وَقَرَ في العقول والأذهان، ووقّرَهُ الأكابرُ والأعيان، قال ابنُ المُقفَّعِ: إذا أكرمك النَّاسُ لِمالٍ أو سُلطانٍ فلا يُعجبنَّك ذلك؛ فإن زوال الكرامة بزوالها، ولكن ليعجبك إن أكرموك لعلمٍ أو لأدبٍ أو لدينٍ.

ثلاثية الهوان

أولاً :

الاستكبار والتعالي

من عجيب المفارقات – والعجائب جمّة –
أن التعالي أكثر ما يصيب أصحاب البدايات، الذين مدوا أعناقهم في طريق العلم شبرا ! ولذلك يقول العلامة بكر بن عبدالله أبوزيد - رحمه الله – في الحلية: «احْذَرْ أن تكونَ (أبا شِبْرٍ):

فقد قيلَ: العلْمُ ثلاثةُ أَشبارٍ ، مَن دَخَلَ في الشبْرِ الأَوَّلِ تَكَبَّرَ، وَمَنْ دَخَلَ في الشبْرِ الثاني تَواضَعَ، ومَن دَخَلَ في الشبْرِ الثالثِ عَلِمَ أنه لا يَعْلَمُ». اهـ

فمن أراد علماً يَنالُ به شرفاً وسؤدداً، فعليه أن يقصِر ألفَ التعالي بتواضع لامِ التعلّم، فالتواضعُ شرَف، والتكبّر تلَف.

جاءَ في تفسير ابن كثير – رحمه الله – عند قوله تعالى: (**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**): « أَيْ سَأَمْنَعُ فهم الحجج والأدلَّةِ على عَظْمَتِي وشرِيعَتِي وأحْكَامِي قُلُوبَ المتَكَبِّرِينَ عن طاعتِي، ويتَكَبَّرُونَ على النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وقالَ بعضُ السَّلف: لا يَنَالُ العِلْمَ حَيِيٌّ ولا مُسْتَكْبِرٌ.

وقال آخَرُ: من لم يَصبرْ على ذُلِّ التَّعَلُّمِ ساعةً، بقيَ في ذُلِّ الجَهْلِ أَبَدًا. اهـ

لا ينـــال العلـــم حيـــيّ ولا مستكبر

وقولـه : «لا يَنـالُ العلـــمَ حيـــيّ ولا مُستكـــبر» ، مأثـور عـن الإمـام مجاهد بـــن جبـــر – رحمـهُ الله - ، وسـبب ذلك - واللـهُ أعلـم – أن الحيـيَّ لا يجرؤ على السّـؤالِ فيما يَجهلُ لحيائِه، والمُـستكبرُ يأنـفُ عـن السّـؤالِ عمّـا يَجهـلُ لكبْـرِه، فيبْقـى علـى حـالٍ من الجَهْـلِ والصّغَارِ وهـــو لا يشـــعُر، خلافـاً لابـن عبـاس - رضـي الله عنهما – فقـــد كـان شـديد التّطلّـــبِ للعلـــم، فـي تواضـعٍ وأدب. يُـــروى أنّـــه سُـــئلَ بمـــــاذا أدركـــت العلـــــم؟ فقـال : « بلِســـانٍ سـؤولٍ، وقَلْـــبٍ عَقـــولٍ، وبَـدَنٍ غَيـرِ مَلول ».

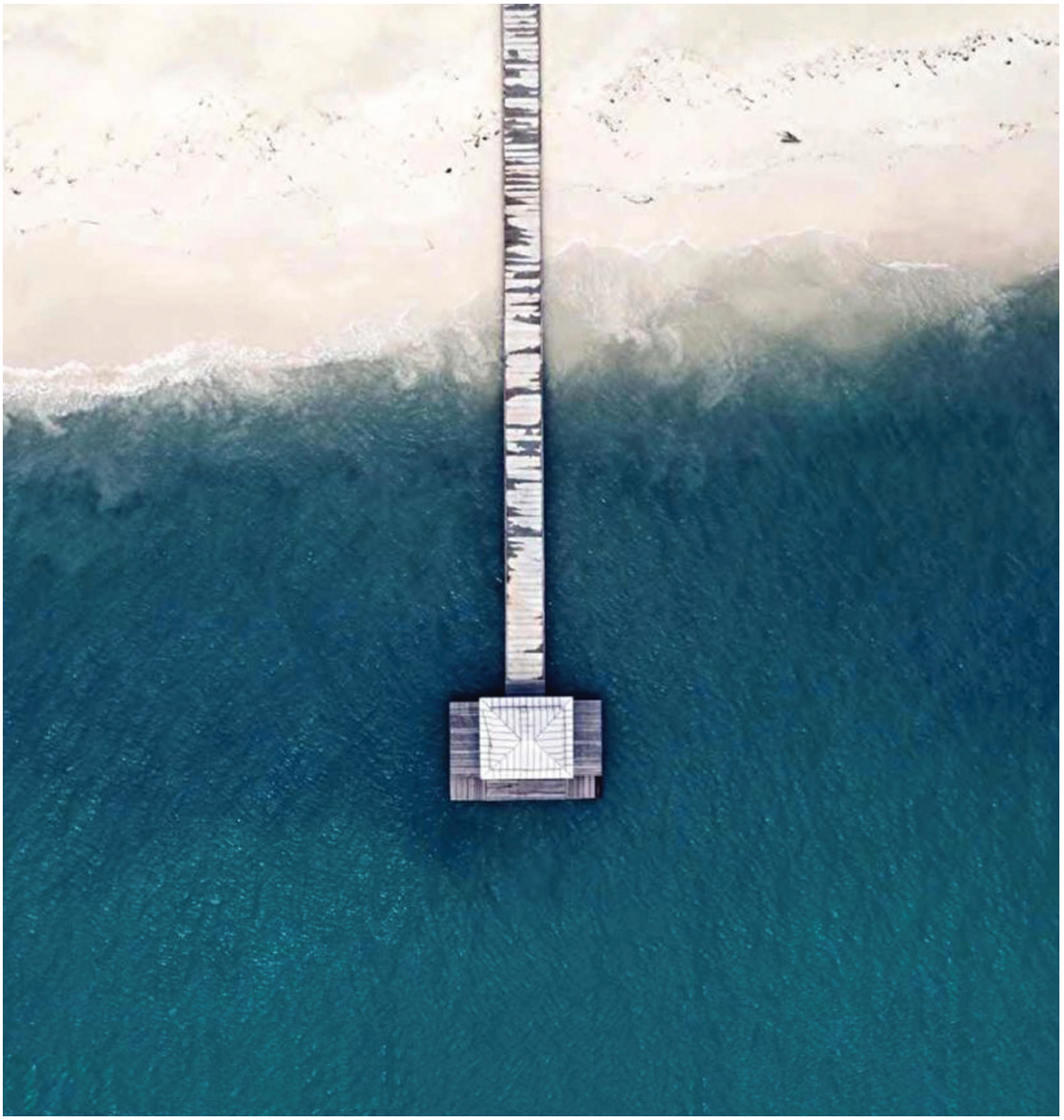

قال الشافِعي رَحمــــه اللّــه:

« لا يَطلـبُ أحـدٌ هـذا العِلمَ بالـمُلكِ وعـــــزّ النّفـــــس فـيُفلح، ولكـن مـن طَلبـهُ بـذُلّ النّفسِ، وضِيـــقِ العيـــشِ وخِدمـــةِ العُلمـاء».

وقـــال رَحمـهُ اللـه: «أرفـــعُ النّـاس قدراً مـن لا يـــرى قدره، وأكثرُهـم فضلاً من لا يـــرى فضلـــه».

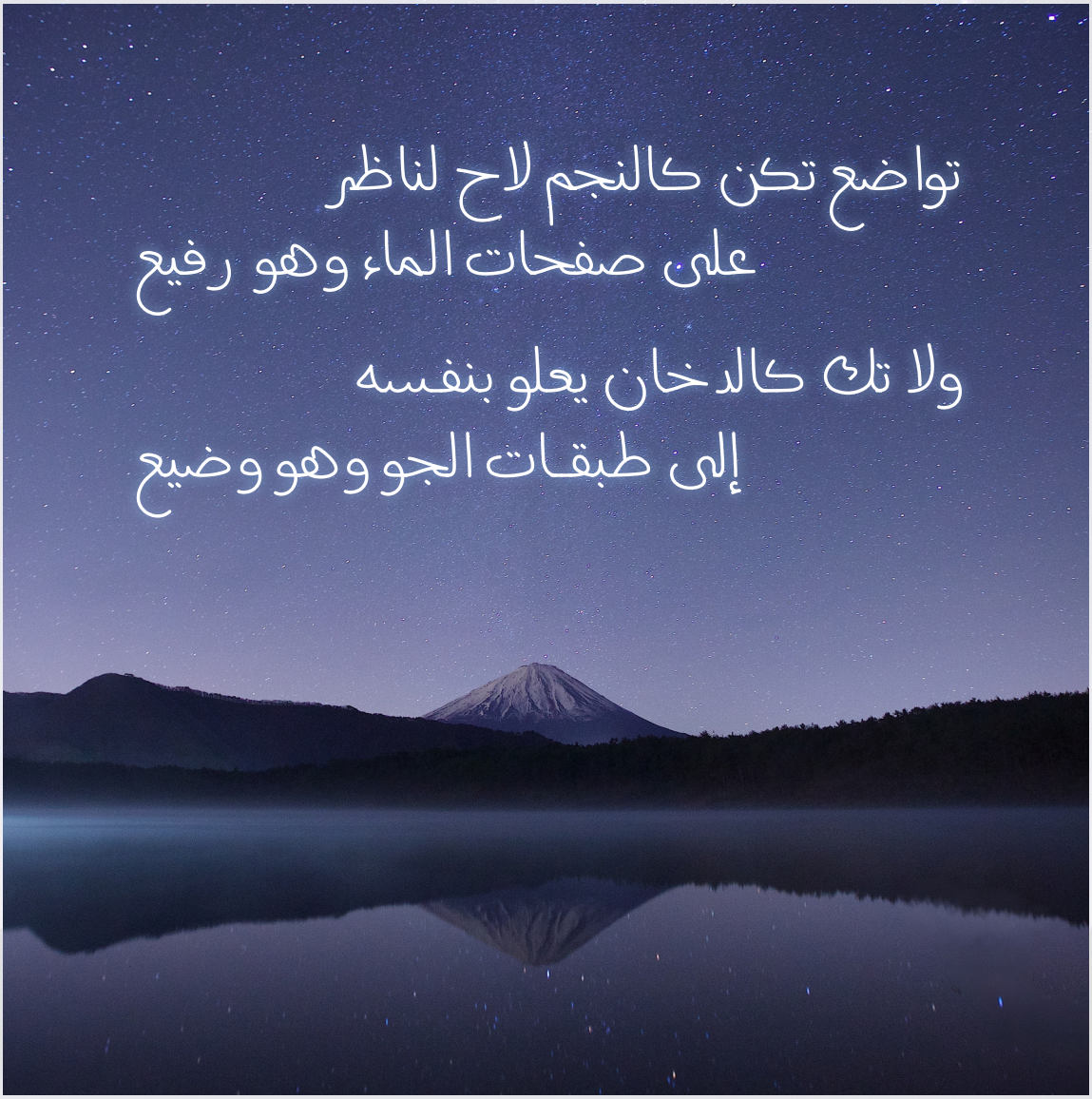

فمـــن تـــذلّل لأجـــلِ العِلمِ وتحصيلِ قَبَسٍ منـه أو هِدايةٍ فقد عزّ وإن طال المدى، ومـــن استكـــبرَ عن نـــوالِ ذلك هـــانَ وإن طـــال المـــدى.

فيـا رب نفـس كـــان فـي الـذل عزهـا
ويـــا رب نفـــس بالمعـــزّة ذلّـــتِ

الانكسـارُ عندَ الوهلةِ الأولى من الإنكارِ الذي قـد يلاقيه الإنسـانُ نظيرَ إنجازاتـه؛ صورةٌ من صـور الاسـتكبار المعكوسـة، قـد يتماهـى المعروفُ في عيون النـاس فلا تتأثرُ النفوسُ الكريمـة بل تمضي فـي ما هي عليـه وتزدادُ جَلَـدًا وعطـاءً، لكنّ المسـتكبرَ عندمـا يلاقي شـيئاً من ذلك ينكسـرُ بداخلِهِ الضـوءُ الممتدُ إلـى الحيّـز القريـب، ثـمّ يتطلّـعُ فـي الفضاءِ رويداً ويتلاشـى !

سُلْطةُ التّبجيل

يتشـوّفُ النـاسُ بطبيعتهم إلـى التقدير والاعتـرافِ بالفضـل، ولـذا كان الشـكرُ امتنانـاً يـؤدي شـيئاً مـن هـذا التعطّشِ فـي بنـي البشـر، وقـد جـاء فـي القرآن الكريـم ذمُّ مـن يُحـب المدحَ علـى ما لم يفعـل، ممـا يـدلُ إلـى رفـعِ الحـرج عـن أولئـك الذيـن يحبـونِ أن يحمـدوا بمـا يفعلـون، هـذه طبيعةُ النـاس، والفطامُ عـن المألوفِ شـديد.

انتظارك لحظةَ التبجيل

قد يكلفك العمرَ كله ! ولن تنفعك عباراتُ نفاق المتكبرين التي يلوم فيها أهلُ هذا الداء الناسَ بأنهم: (لا يقدّرون المواهب، لا يميّزون الإبداع، لا يعرفون... لا يفهمون...) ! فالخطر الذي يُحدقُ بك عندها كبير، وهو الرجوع بالخيبةِ وانكسارِ العزم عن مواصلةِ الطريق، وأعتقدُ جازماً أنّ من هذا حالهُ سيكون من أشدّ الناسِ تعالياً لو ناله منهم التقدير والإطراء.

مَجاديفُ التواضُعِ لا تغرق !

يتصورُ الناسُ التواضعَ في كبيرٍ يتلطفُ لصغير، أو حاكمٍ يؤاكلُ رعاياه ويجالسهم، أو مسؤولٍ يبذلُ في خدمة موظفيه وُسعَهُ وطاقته، لكن التواضع الحقيقي أكبر من هذا، فهو انعكاسٌ على حياة المرء وسلوكه.

إنْ هذا التبجيل الذي لقيه شيخُ الإسلامِ ابن تيميّة بعد وفاته، مختلفٌ جداً عن الواقع الذي كان يعيشه، فقد عاشَ أبو العباس الحرّاني حياةً مخضوبةً بالكفاحِ والجهاد، محفوفةً بتسلّطِ الأقرانِ والرؤساء، لم تكن حياةً مترفةً بالتقدير والامتنانِ، إلا نزراً يسيراً يجدهُ في بعض طلابه الذين يقدّرونَ العلمَ وأهله، وبرغم ذلك فقد كان دؤوباً في نيلِ العلمِ وبذله حتى توفاه الله، لتُنشر بعد موته سجلّات الكرامة والإجلال.

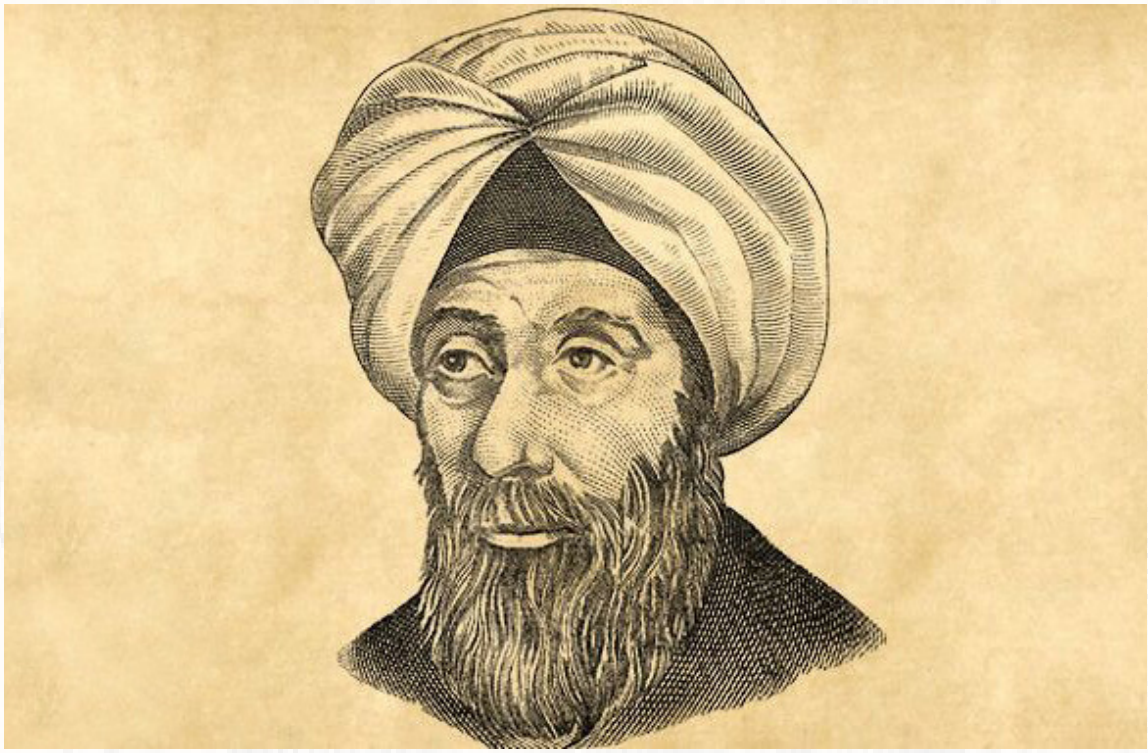

أما ابن خلدون، وهو من أعظم مفكري العالم، فقد عاشَ مغموراً في حياته، ودهراً طويلاً بعد موته، حتى قيّض الله له علماءَ الاستشراق الغربي الذين جالوا في الأرض يستكشفون أغوارها وآثارها، فذهلهم ما وقعوا عليه من تراث هذا المفكر العظيم، الذي وضع بذكائه وفكره أسس علم العمران الإنساني الذي يعرف اليوم بـ (علم الاجتماع).

لم تكن بداياتُ حياة ابن خلدونَ بأقلّ إحراقاً من نهاياتها، حيث عاش متنقلاً في الأمصار بين الدويلات والولايات، يعمل في القضاء والسياسة، لينتهي المطافُ به في كل مرةٍ بالعزل أو السجن والتشريد والاتهام بالخيانة، قبل أن يحظى بشيء قليل من التبجيل والتقدير الذي يحظى به اليوم.

ولم يكن الأديبُ الضاحكُ الباكي فرانس كافكا معروفاً في حياته، ولم تكن أعمالهُ محلّ تقديرٍ واهتمامٍ بين الناس، حتى أصابه اليأسُ في آخر عمره تحت سطوة الإنكار والاحتقار، ليكتب في وصيته قبل أن يصرعهُ الجوعُ وهو في الأربعين من عمره، يوصي صديقه برود بحرق أعماله الأدبية التي لم تنشر.

ليس هذا ما أراده كافكا، ولا ما كان يتوقعه، فعندما قامت إحدى دور النشر بطباعة كتابه البكر بادر هو بشراء عشر نسخ من الكتاب، ثم جاء للناشر يسأله عن عدد المبيعات ؟! فكان الجواب أنه قد بيع منه أحد عشر كتاباً فقط، تظنها خيبة أمل ؟! هي أقسى من ذلك ! لكن كافكا لم يكترث بقلة المبيعات بقدر ما كان يتشوف إلى معرفة قارئه الوحيد !

بهذه الروح التي تمتد للأفق المشرق استطاع كافكا أن يكمل مشواره في الكتابة بعيداً عن ضجيج هذا التبجيل وسخافات المعجبين والطلاب، لم ينعم بهذا النكد الجذاب .. إنما كتب لنفسه وخلجات روحه التي أظلمت بالغربة فانسكبت على أوراقه في قصص شاحبة ومغربة في الخيال، حتى قال عن نفسه: «عشت غريباً بين الناس، غريباً في نفسي». فمات ولا يكاد يعرف، إلى أن قام صديقه برود - مخالفاً وصيته - بنبش أوراقه وإعادة نشرها للقراء الذين تلقوها بالعجب والإعجاب، حتى حظيت بانتشار واسع، وترجمت إلى لغات العالم ليصبح كافكا اليوم رائد القصص الغامضة والكابوسية بلا منازع.

أعلى درجات التواضع .. إنكارُ الذات !

عزيـز عليـك أن تجـد فـي النـاس مـن يُنكـر ذاتـه أمـام تيـار الأنانيـة المتدفق فـي حياتنـا، يقـول الأسـتاذ الهدلق في ميراثـه، عنـد قـول اللـه تعالـى:
(**هل أتى على الإنسـان حيـن من الدهر لـم يكن شـيئا مذكورا**) « هـذا الذي لم يكن شـيئاً مذكوراً؛ ويحـه يحب الذكر » !

إن الـذي أنكـر ذاتـه قـد بلـغ قـدراً عالياً (حقيقيـاً) مـن الثقـة فـي النفـس، فاسـتغنى بهـذه الثقـة عـن التكبـر والتعالـي أمـام ذاتـه وأمـام الآخريـن، فاكتسـب بهذه الثقة عزاً وشـرفاً، وهذا معنـى قـول الشـافعي الآنـف: «أرفـع النـاس قـدراً مـن لا يـرى قـدره».
لكـن هـذا النمـط العالـي مـن أشـكال التواضـع قـد يتمخض عنه نتائـج وخيمة فـي حيـاة طالـب العلـم عندمـا يفـرط اسـتعماله فـي غيـر موضعـه، فيكـون تواضعـاً أصفـر فاقعـاً يعرضـه للامتهان أحيانـاً أو فـوت الحاجـة إليـه فـي أحيان أخرى، ولذا يكفينا أن تعيش قدر نفسك.

ثانياً :

الانصـراف إلـــى سفاسـف الأمـور

للنفـسِ رغبـاتٌ ونـزواتٌ تجـذبُ الإنسانَ من تلابِيبِهِ إلى السعي فـي نَوالِهـا وتَحصيـلِ لَذاذاتِهـا، ولو كان ذلك على حِسابِ وقتِه ومَصالِحـه، فنفسـك عـدوّك إلا أن يشـاء اللـه:

إني بليت بأربــع ما سُلّطت
إلا لأجــل شقاوتي وعنائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائي

بين النفس والروح

ولا يمكنُ في هذا السياقِ أن نتصورَ وقوعَ هذه الملامة وتخيّلَ تلك العداوة من الروح، فالروح جسْمٌ نوراني عُلوي خفيفٌ نقيّ، لا يَحتَملُ لَوماً ولا ذمّاً، ولم يرد في شيء من نصوص الشريعة ما يدل على جنايتها، بخلافِ النّفس التي هيَ موضعُ الجنايةِ والملامَة، وهيَ نسيج مركّب بين الروح والجسد، يَحتملُ ذمّاً ومدحاً بحسْب إيمان المرءِ وبصيرتِه، ولذا كان للإنسان مع نفسه ثلاثُ حالات.

حالات الإنسان مع نفسه

الأولى: أن يطاوعها ويمشي في سياق شهواتها ولذائذها، فتلك النفس الأمارة بالسوء.

الثانية: أن يتردد بينها وبين تقواه فيلوم حاله عند مطاوعتها، فتلك النفس اللوامة.

الثالثة: أن يكبح جماحها ويحكم التصرف في أهوائها، فيعيش تبعا لتقواه وإيمانه، وتلك النفس المطمئنة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

« اتفق السالكون إلى الله أن النفس قاطعة بين القلوب وبين الوصول إلى الرب طريقاً، ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها، فالناس فيها على قسمين:
قسمٌ ظفرت به نفسه فأهلكته، وقسم ظفروا بنفوسهم، فصارت منقادة لأوامرهم » .

فهذه النفس تحتاج من الإنسان إلى تطويع لتغشى مواطن الرحمة وترتفع عن أدران الدنيا وأكدارها، ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « وسائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس، فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصبّ ثم تنبعث منها إلى الأعضاء، وأول ما تنال القلب . يقول صلى الله عليه وسلم في خطبة الحاجة: (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا). وقال صلى الله عليه وسلم لحصين : (أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بها). فأسلم فقال: قل: (اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي)». اهـ

إذا علمت هذا وفطنت له،

ثم نظرت إلى حال الشباب وواقعهم، وجدت كثيرا من مشكلاتهم تكمن في دواعي النفس وخطراتها، وحب الترويح عن الذات بتلبية مطالبها.

فتلك الألعاب الذكيّة – هذه التي بلي بها الشباب في هواتفهم – والمسلسلات الدراميّة والفكاهيّة التي امتلأت بها قنوات (اليوتيوب)، وما لحق بذلك من ترّهات؛ لا تحفّز همّةً ولا تذكي طموحاً ولا تغرسُ قيمةً ولا تكفّ رذيلةً، أصبحتْ مهوى أنظارِ الشبابِ، وحديثَهم وفاكهَةَ مجالِسِهم، فليتَ شعري هل يرومُ أولئكَ عِلماً يكونُ فيه عزّهم وسؤددهم، وصلاحٌ لدينهم ودنياهم ؟!

وقد ثبت بالتجربة والاستقراء

أن دواعي النفس تسير حسب قوة إيمان المرء وهمته، فالنفس خيل جموح إن استسلمت لها كنت منقادا إلى اختيارها، وإن عسفتها بالصبر وقوة البأس انقادت إليك وانصاعت لهواك، ولذلك رُوي بإسناد فيه ضعف عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنّ معناه ثابت وصحيح: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ».

همم تسمو فوق القمم

والتاريخ ولله الحمد، لم يخل من نماذج عالية لرجال تعلقت نفوسهم بمعالي الأمور، حتى صار هواها مرهونا بها ومقترنا بحضورها، فهذا فقيه الأدباء الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله – يقول عن نفسه في الذكريات: « ومن يقرأُ أكثر مني ؟ أنا منذ سبعين سنةِ مضت إلى الآن، من يوم كنتُ صبياً، أقرأُ كلَّ يومٍ مئةَ صفحة على الأقل، وأقرأُ أحياناً ثلاث مئة أو أكثر، ما لي عمل إلا القراءة، لا أقطعها إلا أن أكون مريضاً أو على سفرٍ، فاحسبوا كم صفحة قرأتُ في عمري، لقد قرأتُ أكثرَ من نصفِ مليون صفحة وأعرفُ من قرأ أكثر مني كالأستاذ العقاد والأمير شكيب أرسلان ومحمد كرد علي ومحب الدين الخطيب رحمهم الله » . اهـ

كفاح لتحقيق النجاح

يحكى عن أبي وسلّم عليه واعتذر
عمر المَكْوِيّ له من احتباسه
القرطبي - وكان بشغله في مسألة
قد حُبّب إليه العلم عويصة لم يمكنه
والطلب - أن صديقا تركها حتى فتحها
له زاره في أيام الله عليه !
عيد، فاستأذن فقال الرجل: في
أهله ودخل أيام عيد ووقت
الدار ثم جلس راحة مسنونة !؟
ينتظره، فأبطأ عليه، فقال: إذا عَلَت هذه
فأوصى إليه فخرج النفس انتصبت
وهو ينظر في إلى هذه المعرفة،
كتاب ! فلم يشعر والله ما لي راحة
بصديقه حتى عثَر ولا لذّة في غير
فيه ! فتنبّه حينئذ النظر والقراءة.

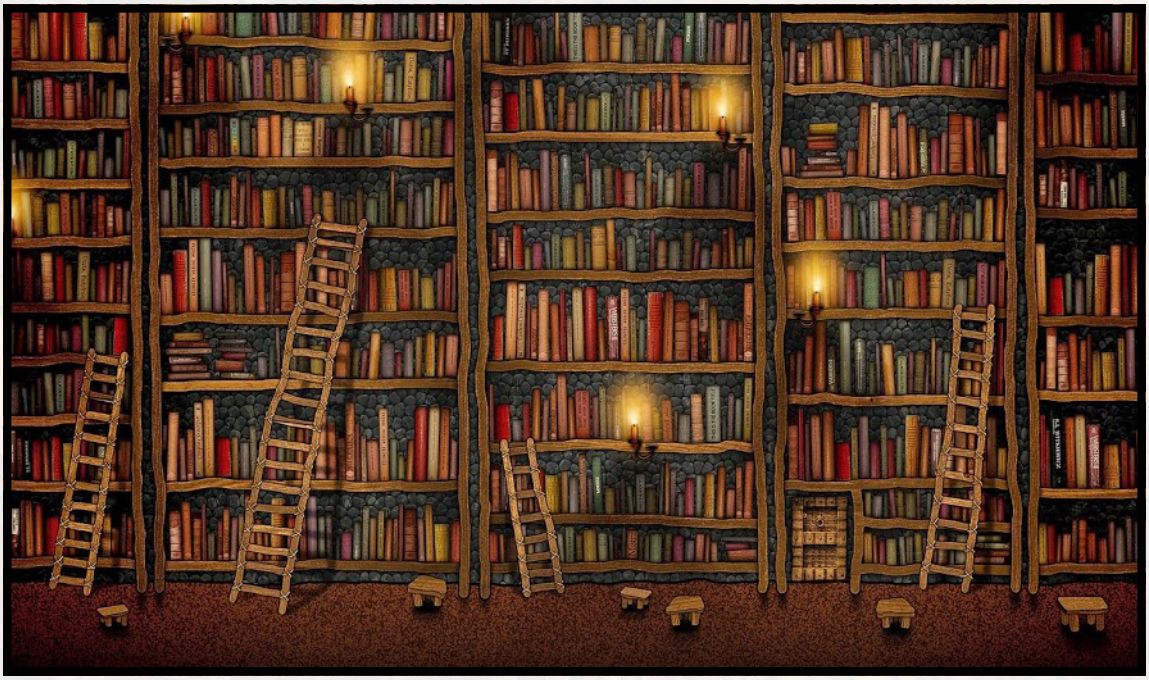

سهرة علمية

ومـن ما يحسـن الاستشـهاد به هنـا، قولُ علامـة العربيـة أبي القاسـم الزمخشـري، يحكـي تلذذ العلمـاء بإيقـاظ ليلهم وطول سهرهم:

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي
من وصل غانيةٍ وطيب عناقِ

وتمايلي طرباً لحلّ عويصةٍ
أشهى وأحلى من مُدامة ساقِ

وصريرُ أقلامي على أوراقها
أحلى من الدُّوكاهِ والعشّاقِ

وألذّ من نقر الفتاة لدُفّـها
نقري لألقي الرمل عن أوراقي

الرئاسة بلا صخب

وقد وقعت أخيرا على أبيات نفيسة للقاضي الجرجاني – وهي مثبتة في ديوانه – فيها دلالة على هذا المعنى، يقول:

ما تطعمتُ لذةَ العيشِ حتى
صرْتُ للبيتِ والكتابِ جليسا

ليس شيءٌ أعزَّ عندي من العلْـ
ـم فَلِمْ أبتغي سواه أنيسا ؟

إنما الـــذُّلُّ في مخالطةِ النَّا
ـس فَدَعْهُمْ وَعِشْ عزيزاً رئيسا

فهذه شواهـد

– ومـا أكثرهـا – على أن النفـس تنقـاد لهمـة الإنسـان فـي اختيـار هواهـا، وأنـت تـرى مـن حـولك كيـف يفتـرق النـاس فـي هواياتهـم وميولهـم، فـذاك هـواه فـي تتبـع الصيـد والرحـلات البريـة، وآخـر هـواه فـي التقنيـة وتتبـع جديدهـا، وآخـر همـه كـرة القـدم .. وهكذا، فاختـر لنفسـك هواهـا.

ثالثاً :

الفوضى

قرأتُ يوماً لحافظ إبراهيم:

ولذيذ الحياة ما كان فوضى
ليس فيه مسيطرٌ أو نظامْ

فطَربتُ له واستحسنتُ نظمهُ ومعناه ، وأوثقتُ هذه الفكرة العظيمة بعبارة ترددها الأفواه المتلعثمة كثيراً: (الفوضى الخلاّقة)! ثم بدا لي بعدما قطعتُ شوطاً من العمرُ أنّي مخدوع ! وكلٌ يطرب على ما يعزّز سلوكه !

سُلوة

(الفوضويّة) في حياةِ طالبِ العلمِ وإن بدت حلوةً لذيذةً إلا أنّها تسوءُ صاحبَها على المدى البعيد، والانتظامُ حسْبَ جداولَ محددةٍ وأهداف دقيقةٍ أشبهُ ما تكون بالقيود، سرعانَ ما ينفتلُ نظامها.

ولذلك لابد على طالب العلم أن يتوازن بين الجد والترويح حتى لا ينهزم أمام الملل والسآمة.

وهـــذا الترويح في حقيقته ماتعٌ مفيد، يُكسِـــبُ الإنســـانَ ثقافةً عاليةً وسـعةَ اطـلاعٍ وعمقـاً في الفهـم، كان محمود شاكـر «أبوفهـر» – رحمه الله – يقرأُ في عزلتِـهِ كلّ ما وقـــعَ عليـه نظـرُهُ مـن الكُتـبِ والمجـلاتِ والمجامعِ، فكيـــف تـــراه ؟!

وكان الطنطـاوي – رحمـه اللـه – كذلك حاويـا جامعـا لفنون شـتى مـن العلـوم لسـعة مطالعاتـه، وكان الشـيخ بكـر أبوزيـد رحمـه اللـه يقـــرأ في كتـــب الآداب والمعـــاجم، ويقـول عـن نفسـه إنـــه تأثـــر كثيـــرا بكتابـات كبـار أدبـاء وعلمـاء المسـلمين

المتأخريـــن: أحمـد شاكـــر، ومحمـــد الخضـــر حسيـــن، ومحمـــد البشيـــر الإبـراهيـــــمـي - رحمهم الله - .

ترويح الأكابر

فالتـوازن إذن مطلوب، حتـى لا يقع الطالب رهـن الجمـودِ تبعـاً لنظـــامٍ مـــحدّدٍ وأهـــداف دقيقـةٍ، ولا ينفـــرِطُ نظامـه كيـــف ما اتفـق ! وقد ســألتُ الشيخ الفـــاضل محمـد ابن سـليمان المهنا عـن هـذا المعنـى، وكيـــف يـــوازن الإنسـان نفسـه بين الأمريـن، فقـــال: « أولـــئك الذيـــن يسيرون وفـق نظام واحد ويُحَرّمون على أنفســـهم الخـروج عنه، وكـــل يـوم له جـدول وكـل ساعة لهـــا أهـــداف! هؤلاء فـــي الغالب مصيرهـــم إلـــى طريقيـــن : إمـــا التراجـــع والملل أو الانضبـــاط الداعـي إلـــى الجمـــود والصرامـة، وفـــي كلتـــا الحـــالتين الحاصـل مذمـوم ».

نَقَلاتُ النَّحْلِ

احرص على كـــل علـــم تبلـغ الأمـلا
ولا تـــواصـــل لعلـــم واحـــدٍ كـســـلا

فالـنّحل لمـا جنت من كـل فـاكهة
أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا

الشمع في الليل ضوء يستضاء به
والشهـد يبري بإذن البارئ العـللا

هـذا التنـقل كما ترى يسلي النفس ،

ويجـدد الـروح، ويشـحذُ الهمّـة، لكن لـه شـروط !

فمـن شروطـهِ عـدمُ الانتقـالِ من فـن إلى آخـرَ قبـلَ استكمـالِ جوانـبِ التكـاملِ فيه، فمن الخطـأ أن يكـونَ تصـورُ الطالـبِ فـي فـنٍ مـن الفنـونِ أو بـابٍ من أبـوابِ العلمِ ناقصـاً مثلومـاً ! لأن كثيـراً من أبـوابِ العلـمِ - لا سيمـا الفقهيّـة والحديثيّـة - لا تقومُ إلا ببعضهـا، فـإن أخذتَ طرفـاً من هذا وقفـزتَ إلى طـرفٍ آخـرَ دونَ اسـتكمالِ الأولِ، خرجتَ بخـفٍّ كخـفِّ حنيـن !

الخلاصة أنه على طالب العلم الحرص على ترتيب أولوياته، فلا يدخل بعضها في بعض، ولا يهمل جانبا منها على حساب الآخر، وأن يوازن حياته العلمية بين الجد والترويح في شتى الفنون النافعة، لا سيما الأدب ومهارات تطوير الذات، وأن يكسر حر بعض العلوم ببرد بعضها، وهكذا حتى تنمو لديه ملكة العلم من كل جانب.

أضواء
على طريق العلم
والتعلم..

قال تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾

سورة البقرة (٣١)

لمّـا خلق اللـه آدم عليه السـلام، ركّب فيه الشـغف بالمعرفة، والفضول إلـى التعلم، وجعلهـا نهمةً في نفسـه وفـي ذريّته من بعـده، ثـم أكرمه بعـد ذلك بإشـباع نهمته ومـلء شـغفه حيـث أطلعـه علـى ذريتـه، وعلّمـه الأسـماء كلها ..

أولئك الواثبون إلى المعرفة، المتعطّشـون إلـى العلم والتعلم أشـبهُ الناس بأبيهم !

كلما أحسست بتغيّر في نيّتك، وفتور في قوّتك، فجدد إخلاصك وأحسن قصدك، فالإخلاص هو أساس الأعمال ورحى الإسلام، وأما المرائي فعمله بصلة كلها قشور :

ثوب الرياء يشف عما تحته

فإذا التحفت به فإنك عاري

تسلّح بتقوى الله في حياتك،

فإن التقوى دليل الرشاد والقربى عند رب العباد، ولو تأملت لوجدت الوصية بها في القرآن الكريم تتكرر في كل أحوال الناس، مما يشعر بافتقار العبد إليها، وضرورة تحقيقها لنيل المراد.

وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ سورة البقرة

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۗ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ سورة البقرة

ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ سورة آل عمران

قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ سورة المائدة

وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴿٢٦﴾ سورة الأعراف

فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ سورة الأعراف

فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ سورة هود

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ سورة الطلاق

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ سورة الطلاق

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ سورة الطلاق

أشعل فتيل العزيمة واصرف عن مخيلاتك العواقب، واجعل نصب عينيك همتك وطموحك، وكن على حد قول الأوّل:

إذا همّ ألقى بين عينيهِ عزمَهُ
ونكّبَ عن ذكرِ العواقبِ جانبا

لا تحـزن إن ذهب بعض شـمع حياتـك في كفاحك لتحقيق هدفك، اسـتعن بالله ولا تعجِز, واعلم أن مـن تعنّـى نال مـا تمنّى، ومـن ثبت نبـت؛ ثُمَّ أنت « إذا لـم تحتـرق ولـم أحتـرق، فمن يضـيء ظلام هـذا العالم ».

على مُهْجَتِي تَجْني الحوادثْ والدَّهرُ
فأمَّا اصطباري فهو ممُتَنِعٌ وعرُ

كـــأني أُلاقِـي كـلَّ يـومٍ يَنُوبُني
بذنبٍ وما ذَنْبي سوى أَنَّني حُرٌّ

فإن لم يكن عند الزَّمانِ ســوى الذي
أضيقُ به ذرْعاً فعندي له الصبرُ

لا تقف عند كل عقبة تعرض عليك، ولا تحفل بكل انتقاد يذاع عنك، ولا تنصت إلى كل رسالة تثبيط توجه إليك:

فمن كان جبّار المطامع لم يزل
يلاقي من الدنيا ضراوة قشعمِ

اجعل ذلك كله وراء ظهرك ثم لا تلتفت، فإن فعلت فاستودع الفشل أحلامَك.

أيقظ عين الرقابة في قلبك، كن خصيماً أمام ذاتك،
فعندما يموت الضمير, لا ينفع الوعظ !

من يهن يسهل الهوان عليه
مـا لجـرحٍ بمـيتٍ إيـلامُ !

هـذه جملـة وصايـا، باعثهـا الطمـعُ فيمـا يرتقـي بالعزائـم، ويشـحذ نجائب الهمم في النفـوس، راجياً أن تحِـلّ في قلـب قارئها محِـلّ العنايـة والاهتمام، فذاك هـو المبتغى والمرام، والله مـن وراء القصد، والسلام.

وكتبُ
علي بن محمد أبونصيّة التميمي

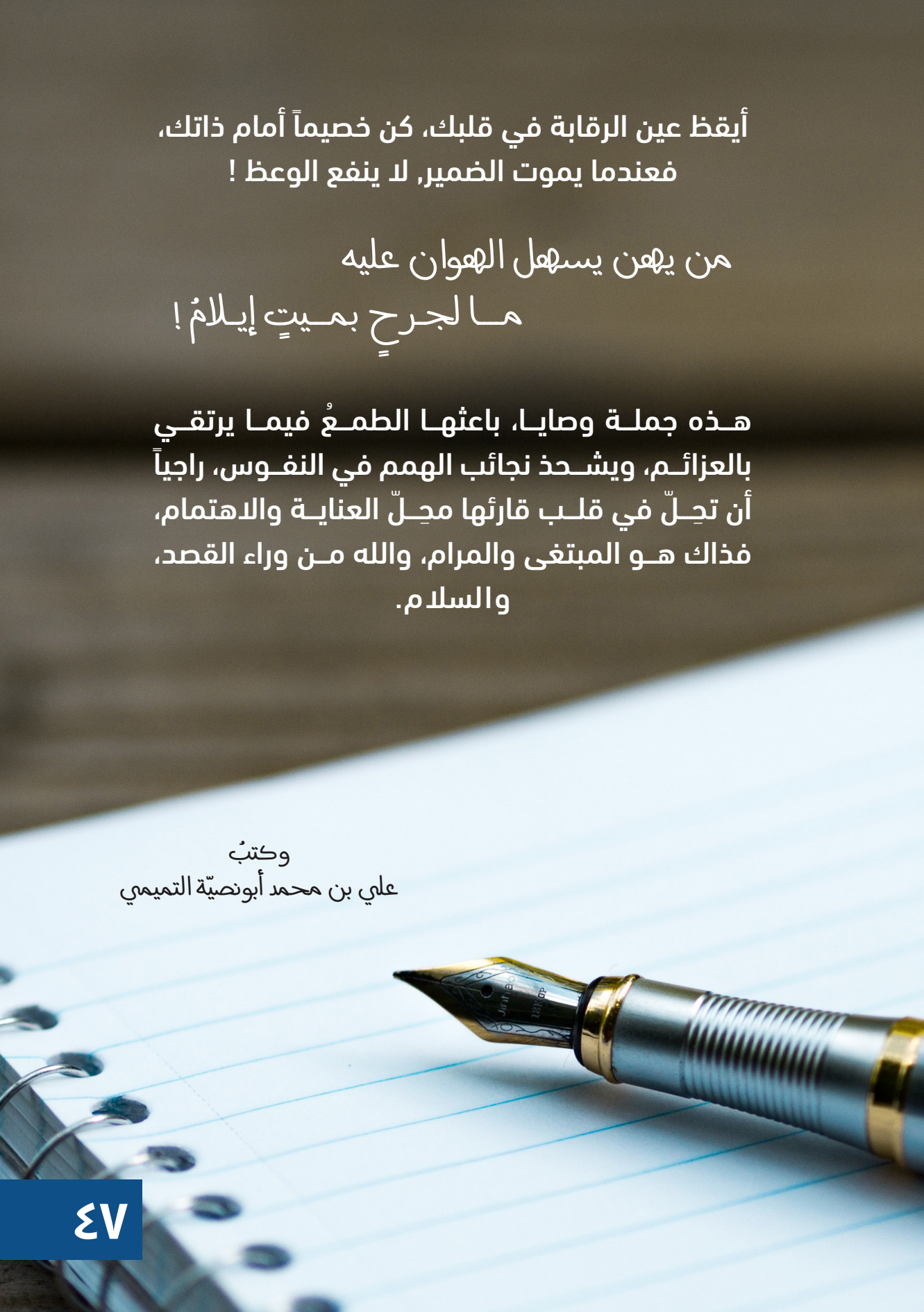

المحتويات

أوقد حُلما ٦

ثالثة الأثافي ٧

المحتويات ٤٨

الثلاثية الأولى

الاستكبار والتعالي ٨

لا ينال العلم حيي ولا مستكبر ١٠

التذلل لأجل طلب العلم ١٢

سلطة التبجيل ١٣

التشوف إلى التقدير ١٤

انتظار لحظة التبجيل ١٥

مجاديف التواضع ١٦

ابن خلدون ١٧

كافكار ١٨

انكار الذات ٢٠

الثلاثية الثانية

الانصراف إلى سفاسف الأمور ٢١

بين النفس والروح ٢٢

حالات النفس ٢٣

مشكلات الشباب ٢٦

النفس خيل جموح ٢٧

همم تسمو فوق القمم ٢٨

كفاح لتحقيق النجاح ٢٩

سهرة علمية ٣٠

الرئاسة بلا صخب ٣١

المحتويات

الثلاثية الثالثة

الفوضى **٣٣**

سلوة ٣٤

ترويح الأكابر ٣٥

توازن ٣٦

نقلات النحل ٣٧

خلاصة ٣٩

أصواء على الطريق **٤٠**

أشباه أبيهم ٤١

الإخلاص ٤٢

تسلح بتقوى الله ٤٣

أشعل فتيل العزيمة ٤٤

لا تحزن ٤٥

ثم لا تلتفت ٤٦

ختـام ٤٧

تم تصيميم هذا الكتاب بواسطة

riyash.altasmim@gmail.com
+966537368590
@ riyash1